# الشهيدة ((سميلي))... في الفن الغنائي

..... بقلم : اثورايا

((سميلي)) ... الصرح الاشوري الخالد ... والشهادة الازلية .. والدم الذي لم يجف بعد .. والجرح الوطني الذي لن يندمل من ذاكرة الوطنيين العراقيين الشرفاء .. لا تزال تفوح من ((سميلي)) رائحة الغدر ونوايا ابادة الشعوب . ولا تزال دماء الشهداء الابطال تروي ارض النهرين الام . فالشعب الذي اعطى ((سميلي)) قربانا على مذبح حريته وسبيلا لترسيخ وجوده القومي في ارضه وسمائه .. شعب يستحق الحياة الحرة بكامل ارادته ، بعد العمر البطولي الشامخ ، وبعد الخدمات الجليلة التي قدمها للبشرية جمعاء .. فالشعب الاشوري اعطى للوطن في مسيرة نشأته الحديثة ما لم يعطه اي شعب اخر ، فلا عجب ، فشعب عمره سبعة الاف سنه ، لابد ان تكون تضحياته جسيمة تبرر بقائه وتشبثه بارض الوجود ..

فثورة الاثوريون الوطنية علم ١٩٣٣ ضد الحكومة العميلة للانكليز ، وما رافقها من احداث مؤلمة ومذابح رهيبة يندى لها جبين الانسانية في كل حين ، وراح ضحيتها الاف الاطفال والنساء والشيوخ العزل الابرياء ، بتخطيط بريطاني (خبيث) وتنفيذ ايد عراقية (حقيرة) متمثلة بالرباعي المجرم ((الامير (الملك) غازي ، رشيد عالي الكيلاني ، حكمت سليمان ، بكر صدقي )) . وهو حدث لم يشأ اي مؤرخ منصف عراقي او اجنبي تجاوزه دون الاشارة الواضحة الى وحشية مرتكبيه وحقدهم الدفين على الشعب الاشوري (المسالم) .

فمسيرته العملاقة ، في بداية الحرب العالمية الاولى ، بدءا من حكاري (تركيا) مرورا باورمي (ايران) ، وانتهاءا ببعقوبة (العراق) ، ثم رجوعه (ثانية) الى مواطنه الاصلية شمالي العراق الحديث ، كانت من اوائل انتفاضات الشعوب الخاضعة للحكم العثماني واكبرها حجما وتأثيرا ... ففي هذه الانتفاضة التاريخية ، اعطى الشعب الاشوري نصف تعداده

(*١) شهيدا بطلا من اجل العز والكرامة والشرف.

فهكذا عاشت ((سميلي)) في دم ابنائها جيلا بعد جيل.. دون ان يستطع -كائنا من كان- ان يمحو اثارها الشاخصة، او يزيل ذكرياتها المريرة من الوجدان الاشوري. فكان سخاء تضحياتها.. وهول مأساتها.. وجذورها القومية معينا لابنائها في انماء وعيهم القومي، ومصدرا لالهام مخيلتهم في ابداعات وعطاءات وفي كل حقول الحياة الجديدة.. من هذا الواقع ولدت ((سميلي)) الاغنية.. فكانت اول اغنية قومية وسياسية جسدت (المذبحة) وظهرت للجمهور في العراق بعد ثورة ١٩٣٣ م. كانت ((قصيدة)) في هيكلها، و ((قضية))) في واقعها، طرحت باسلوب فني راق يستطيع النفاذ الى الكم الجماهيري، ليقتل الصمت الاشوري القاتل، ويمزق شرنقة السلطة، التي بدأت بتثبيت ارجلها الارهابية بعد تمكنها من قوة الاقتصاد اثر نجاح التأميم...

صاغ ((سميلي)) شعرا الشاعر المبدع دنخا ايشا (*٢) ولحنها الفنان القومي شليمون بيت شموئيل واداها بنفسه بكبرياء وشموخ يليق بها، ممزوجة بسحنة حزن ومرارة.. فقدمها النادي الثقافي الاثوري في ١٩٧٣\٨\٣٠ (*٣) بعد اربعين سنة على الشهيدة ((سميلي))، في اقوى صيغ التحدي (انئذ) للسلطة وادواتها... فكان مدير الامن حينها ناظم كزار لازم قد رسخ منهجها بمعادات القوميات ((اذ عرف عنه دمويته ضد الاقليات)) (*٤)... والنادي يبعد اقل من كيلومتر واحد عن دائرة الامن.. فقدمت امام انظار واسماع النظام بالرغم من بطشه.. وسط تشجيع منقطع النظير من قبل الجماهير الاشورية ((المتعطشة) والمحتشدة في حدائق النادي، فتوطدت بها وبغيرها من الاعمال القومية الرائعة هوية النادي، لتساهم ((سميلي)) الاغنية في اختيار يوم السابع من اب يوما للشهيد الاشوري، فحازت على اعجاب النخبة القومية من ابناء الشعب، وترسخت معها شهرة الفنان شليمون بيت شموئيل، فاستحق عن جدارة لقب ((مطرب الامة)) (*٥)... لتصبح ((سميلي)) بعد حين سببا رئيسيا لتركه الوطن مرغما، وسط اجواء تهديدات السلطة (*٦) خصوصا بعد ان قدمها في النادي الاثوري

الرياضي - كركوك وسط اقبال جماهيري لم تألفه المدينة ... ففي مدرسة الاغنية القومية لا تعتبر ((سميلي)) رقما في البومات الفنان شليمون (القليلة جدا) ولا حدثا مأساويا فحسب، بل قضية شعب مسحوق ومضطهد يسعى لنيل حقوقه المشروعة بعد ان سقى شجرة الوطن بدماء الشهداء الخلد ...

ولابد ان نشير الى ظهور قصائد مغناة اخرى تدور حول الشهيدة ((سميلي)) وكلها استطاعت ان تعبر عن الحدث ونزفه، وعن القضية وعدالتها ... وان بقي تعلق الجمهور ب (سميلي) الشليمونية اقوى لانها هي الام وهي اولى المبادرات الفنية والموسيقية التي استطاعت ان تنقل الحدث الاشوري من تقوقعه (المحلي) الى (عالميته) بعد الابداع الواضح في موسيقاها الكلاسيكية الرائعة، خصوصا الصور التي قدمها في مقدمة الاغنية، فغير الاشوري عندما يسمع ((سميلي)) يتحسس بموضوعها من خلال قوة موسيقاها المؤثرة والمعبرة (*٧)... وهكذا يكون دور الفن في خدمة القضية، فالموسيقى لغة الشعوب الان وفي كل آن ... وهي جسر التفاعل الانساني بمختلف اشكاله والوانه.

---

الهوامش :

(*١) راجع أي. ام. هاملتون، طريق في كردستان، ت، جرجيس فتح الله، ص ٢٥٠، وايشو مالك خليل جوارو، الاشوريون في التاريخ، ص ١٨٩ .. وماتفيف (يارخين)، الاشوريون والمسألة الاشورية، ص ١١٥.

(*٢) هو احد شعراء الاغنية البارزين، يكتب بالاثورية والعربية ... الا انه على (حد معلوماتنا) قد توقف عن الكتابة كليا بعد مغادرة صديقه الحميم (شليمون) الوطن ..

(*٣) مجلة المثقف الاثوري، العدد الثاني، ١٩٧٣، ص ٣٦.

(*٤) انظر برزان التكريتي، محاولات اغتيال الرئيس صدام حسين، ص ١٠٨.

(*٥) انظر جريدة التاخي، الصفحة الاشورية، العدد (مجهول)

١٩٧٣ :

(*٦) انظر بهرا ، العدد ٥٢ اب ١٩٩٣ ، ص ١٢ ..

(*٧) في العاصمة بغداد وعلى ضوء معلوماتنا قدمت (البومات) الفنان شليمون لعازف بارع في الفرقة السمفونية العراقية .. فاستمع الى موسيقاها بتعمق واعجاب شديدين .. وكان رده اخيرا .. انه لايصدق ان يكون صاحب هذه الالحان (المتميزة) وهذه الموسيقى عراقيا ... وهذه شهادة وطنية (من كبير موسيقيي الوطن) بحق الاغنية الاشورية .

---

الف سميلي والتضحيات قليلة لمن ينشد اليوم السعيد
عويل الاطفال واهات الامهات
مجاميع مسكينة كلهم في صراخ
اصرخ المذبحة في سميلي
استغيث المذبحة .. المذبحة ... المذبحة ...
اولئك الاحياء كالحجر ساكتون والاموات بدلا عنهم يصرخون
هناك طفل صغير مقتول وليس له قبر
بجانبه والده الكهل يموت موتا مريرا
اصرخ مذبحتنا في سميلي استغيث مذبحتنا ... مذبحتنا .. مذبحتنا
اي نفس اية روح اشورية توصلان امتنا لهذا الحال
احمرت السهول والجبال احمرت المياه الزرقاء
الاقرباء نكروا اقاربهم والكل تخاف على نفسها
اصرخ .....
قل اثور حية وستحيا ودع العالم كله يسمع هذا الدعاء ....